حقيقة دين النصارى

وَذَلِكَ أَنَّ دِينَ النَّصَارَى البَاطِلَ إِنَّمَا هُوَ دِينٌ مُبْتَدَعٌ، ابْتَدَعُوهُ بَعْدَ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَيَّرُوا بِهِ دِينَ المَسِيحِ، فَضَلَّ مِنْهُمْ مَنْ عَدَلَ عَنْ شَرِيعَةِ المَسِيحِ إِلَى مَا ابْتَدَعُوهُ.

ثُمَّ لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرُوا بِهِ فَصَارَ كُفْرُهُمْ وَضَلَالُهُمْ مِنْ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ: تَبْدِيلِ دِينِ الرَّسُولِ الأَوَّلِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ الثَّانِي.

كَمَا كَانَ كُفْرُ اليَهُودِ بِتَبْدِيلِهِمْ أَحْكَامَ التَّوْرَاةِ قَبْلَ مَبْعَثِ المَسِيحِ، ثُمَّ تَكْذِيبِهِمُ المَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَنُبَيِّنُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنَّ مَا عَلَيْهِ النَّصَارَى مِنَ التَّثْلِيثِ وَالِاتِّحَادِ، لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ اللهِ: لَا الإِنْجِيلُ وَلَا غَيْرُهُ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ، وَلَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ عَقْلٌ بَلِ العَقْلُ الصَّرِيحُ مَعَ نُصُوصِ الأَنْبِيَاءِ تَدُلُّ عَلَى نَقِيضِ ذَلِكَ، بَلْ وَكَذَلِكَ عَامَّةُ شَرَائِعِ دِينِهِمْ مُحْدَثَةٌ مُبْتَدَعَةٌ، لَمْ يُشَرِّعْهَا المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ التَّكْذِيبُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كُفْرُهُمُ المَعْلُومُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، مِثْلُ كُفْرِ اليَهُودِ بِالمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبْلَغُ.

وَهُمْ يُبَالِغُونَ فِي تَكْفِيرِ اليَهُودِ بِأَعْظَمَ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ اليَهُودُ مِنَ التَّكْفِيرِ، إِذْ كَانَ اليَهُودُ يَزْعُمُونَ أَنَّ المَسِيحَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ وَلَدُ غَيَّةٍ[1]، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٦].

وَالنَّصَارَى يَدَّعُونَ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَنَّهُ دَيَّانُ يَوْمِ الدِّينِ، فَكَانَتِ الأُمَّتَانِ فِيهِ عَلَى غَايَةِ التَّنَاقُضِ وَالتَّعَادِي وَالتَّقَابُلِ؛ وَلِهَذَا كُلُّ أُمَّةٍ تَذُمُّ الأُخْرَى بِأَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَحِقُّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ

(١) ولد غيّة أي ولد بغيّة زانية.

لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البَقَرَة:١١٣].

ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ(١) مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَكَفَرَ بِعِيسَى وَالإِنْجِيلِ جَمِيعًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَجَحَدَ نُبُوَّةَ مُوسَى، وَكَفَرَ بِالتَّوْرَاةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِمَا ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البَقَرَة:١١٣].

قَالَ: كُلٌّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَا كَفَرَ: أَيْ تَكْفُرُ اليَهُودُ بِعِيسَى، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي الإِنْجِيلِ بِإِجَابَةِ عِيسَى بِتَصْدِيقِ مُوسَى، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْرَاةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكُلٌّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدَيْ صَاحِبِهِ(٢).

قَالَ قَتَادَةُ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ قَالَ: بَلَى قَدْ كَانَ أَوَائِلُ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَلَكِنَّهُمُ ابْتَدَعُوا وَتَفَرَّقُوا.

و﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ قَالَ: بَلَى قَدْ كَانَتْ أَوَائِلُ اليَهُودِ عَلَى شَيْءٍ، وَلَكِنَّهُمُ ابْتَدَعُوا وَتَفَرَّقُوا(٣).

---

(١) نجران بلدة واقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية، وهي إحدى مدن المملكة السعودية الآن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» [١٨١٣] وابن أبي حاتم في «تفسيره» [١١٠٠] وإسناده ضعيف وفيه اضطراب.

(٣) رواه ابن جرير [١٨١٥] وابن أبي حاتم [١١٠١] من طريقين.

تكفير اليهود للنصارى والنصارى لليهود

فَاليَهُودُ كَذَّبُوا بِدِينِ النَّصَارَى، وَقَالُوا: لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَالنَّصَارَى كَذَّبُوا بِجَمِيعِ مَا تَمَيَّزَ بِهِ اليَهُودُ عَنْهُمْ، حَتَّى فِي شَرَائِعِ التَّوْرَاةِ الَّتِي لَمْ يَنْسَخْهَا المَسِيحُ، بَلْ أَمَرَهُمْ بِالعَمَلِ بِهَا، وَكَذَّبُوا بِكَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ تَمَيَّزُوا بِهِ عَنْهُمْ، حَتَّى كَذَّبُوا بِمَا جَاءَ بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الحَقِّ.

لَكِنَّ النَّصَارَى ـ وَإِنْ بَالَغُوا فِي تَكْفِيرِ اليَهُودِ وَمُعَادَاتِهِمْ عَلَى الحَدِّ الوَاجِبِ عَمَّا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الغُلُوِّ وَالضَّلَالِ ـ فَلَا رَيْبَ أَنَّ اليَهُودَ لَمَّا كَذَّبُوا المَسِيحَ صَارُوا كُفَّارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِلْمَسِيحِ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وَكُفْرُ النَّصَارَى بِتَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمُخَالَفَةِ المُسْلِمِينَ أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ اليَهُودِ بِمُجَرَّدِ تَكْذِيبِ المَسِيحِ، فَإِنَّ المَسِيحَ لَمْ يَنْسَخْ مِنْ شَرْعِ التَّوْرَاةِ إِلَّا قَلِيلًا، وَسَائِرُ شَرْعِهِ إِحَالَةٌ عَلَى التَّوْرَاةِ، وَلَكِنْ عَامَّةُ دِينِ النَّصَارَى أَحْدَثُوهُ بَعْدَ المَسِيحِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي مُجَرَّدِ تَكْذِيبِ اليَهُودِ لَهُ مِنْ مُخَالَفَةِ شَرْعِ اللهِ الَّذِي جَاءَ بِكِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَمْ يُحِلْ شَيْئًا مِنْ شَرْعِهِ عَلَى شَرْعِ غَيْرِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وَالقُرْآنُ أَصْلٌ كَالتَّوْرَاةِ وَإِنْ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهَا؛ وَلِهَذَا عُلَمَاءُ النَّصَارَى يَقْرِنُونَ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ النَّصَارَى لَمَّا سَمِعَ القُرْآنَ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ.

وَكَذَلِكَ قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ[١]، وَهُوَ مِنْ أَحْبَارِ نَصَارَى العَرَبِ، لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ يَأْتِيكَ النَّامُوسُ[٢] الَّذِي يَأْتِي مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا[٣]، حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[٤].

وَلِهَذَا يَقْرِنُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ التَّوْرَاةِ وَالقُرْآنِ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: ٤٨] وَيَعْنِي: التَّوْرَاةَ وَالقُرْآنَ، وَفِي القِرَاءَةِ الأُخْرَى «قَالُوا سَاحِرَانِ» أَيْ: مُحَمَّدٌ وَمُوسَى.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٨-٤٩].

فَلَمْ يَنْزِلْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَهْدَى مِنَ التَّوْرَاةِ وَالقُرْآنِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، حبر من أحبار العرب، وحكيم جاهلي، كان قد اعتزل عبادة الأوثان، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين، وفي صحيحه وصحيح الألباني حديثًا في فضله رواه الحاكم (الصحيحة ٤٠٥) مرفوعًا «لا تسبوا ورقة فإني قد رأيت لهُ جنةً أو جنتين» «صحيح الجامع» [٧٣٢٠].

(٢) **الناموس**: صاحب السر، وعليه الجمهور، والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام، كما قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٢٤).

(٣) **الجذع**: الصغير من البهائم كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شابًا ليكون أمكن لنصره. كذا في «الفتح».

(٤) رواه البخاري (٣، ٣٢٣٨، ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤) ومسلم [٢٥٢] وقد خرجته في السيرة مطولًا.

وَهَـؤُلَاءِ النَّصَـارَى، ذَكَرَ كَاتِـبُ كِتَابِهِمْ فِي كِتَابِهِ: أَنَّهُ لَمَّا سَـأَلَهُ سَـائِلٌ أَنْ يُفَحِّصَ لَهُ فَحْصًا بَيِّنًا عَمَّا يَعْتَقِدُهُ النَّصَارَى المَسِيحِيُّونَ المُخْتَلِفَةُ أَلْسِنَتُهُمُ المُتَفَرِّقَةُ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا العَالَمِ، مِـنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَمِنَ الجَنُوبِ إِلَى الشَّـمَالِ، وَالقَاطِنُـونَ بِجَزَائِرِ البَحْرِ، وَالمُقِيمُونَ بِالبَرِّ المُتَّصِلِ إِلَى مَغِيبِ الشَّـمْسِ، وَإِنَّ الأُسْـقُفَّ دِمْيَانَ المَلِكَ الرُّومِيَّ اجْتَمَعَ بِمَنِ اجْتَمَعَ بِـهِ مِـنْ أَجِلَّائِهِمْ وَرُؤَسَـائِهِمْ، وَفَاوَضَ مَنْ فَاوَضَ مِـنْ أَفَاضِلِهِمْ، وَعُلَمَائِهِـمْ، فِيمَا عَلِمَهُ مِـنْ رَأْيِ القَـوْمِ الَّذِينَ رَآهُـمْ بِجَزَائِرِ البَحْرِ قَبْـلَ دُخُولِهِ إِلَى قُـبْرُصَ، وَخَاطَبَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ وَيَحْتَجُّونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِـهِمْ، قَالَ الكَاتِبُ عَلَى لِسَـانِ الأُسْـقُفِّ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّا سَـمِعْنَا أَنْ قَدْ ظَهَرَ إِنْسَـانٌ مِنَ العَرَبِ اسْـمُهُ مُحَمَّدٌ يَقُولُ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَتَى بِكِتَابٍ، فَذَكَـرَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ عَلَيْـهِ مِنَ اللهِ، فَلَمْ نَزَلْ إِلَى أَنْ حَصَلَ الكِتَابُ عِنْدَنَـا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا كُنْتُمْ قَدْ سَـمِعْتُمْ بِهَذَا الكِتَابِ، وَهَذَا الإِنْسَـانِ وَاجْتَهَدْتُمْ عَلَى تَحْصِيلِ هَذَا الكِتَابِ الَّذِي أَتَى بِهِ عِنْدَكُمْ، فَلِأَيِّ حَالٍ لَمْ تَتَّبِعُوهُ وَلَا سِـيَّمَا وَفِي الكِتَابِ يَقُولُ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أَجَابُوا قَائِلِينَ: لِأَحْوَالٍ شَـتَّى، قَالَ: فَقُلْتُ وَمَا هِيَ؟ قَالُوا: مِنْهَا أَنَّ الكِتَابَ عَرَبِيٌّ، وَلَيْسَ بِلِسَانِنَا حَسْبَ مَا جَاءَ فِيهِ، يَقُولُ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢].

وَقَالَ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وَقَالَ فِي سُـورَةِ الشُّـعَرَاءِ: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٨-١٩٩].

وَقَـالَ فِي سُـورَةِ البَقَـرَةِ: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

وَقَـالَ فِي سُـورَةِ آلِ عِمْـرَانَ: لَ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ القَصَصِ: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾. [السجدة: ٣]

وَقَالَ فِي سُورَةِ يس: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [يس: ٦].

قَالُوا: فَلَمَّا رَأَيْنَا هَذَا عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَيْنَا، بَلْ إِلَى جَاهِلِيَّةِ العَرَبِ، الَّذِينَ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ وَلَا نَذِيرٌ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُنَا اتِّبَاعُهُ؛ لِأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ أَتَانَا رُسُلٌ مِنْ قَبْلِهِ، خَاطَبُونَا بِأَلْسِنَتِنَا، وَأَنْذَرُونَا بِدِينِنَا الَّذِي نَحْنُ مُتَمَسِّكُونَ بِهِ يَوْمَنَا هَذَا، وَسَلَّمُوا إِلَيْنَا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ بِلُغَاتِنَا، عَلَى مَا يَشْهَدُ لَهُمْ هَذَا الكِتَابُ الَّذِي أَتَى بِهِ هَذَا الرَّجُلُ حَيْثُ يَقُولُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الروم: ٤٧]. فَقَدْ صَحَّ فِي هَذَا الكِتَابِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنَ العَرَبِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فَيُرِيدُ بِحَسَبِ مُقْتَضَى العَدْلِ قَوْمَهُ الَّذِينَ أَتَاهُمْ بِلُغَتِهِمْ، لَا غَيْرَهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَأْتِهِمْ بِمَا جَاءَ فِيهِ.

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَدْلٌ، وَلَيْسَ مِنْ عَدْلِهِ أَنْ يُطَالِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً بِاتِّبَاعِ إِنْسَانٍ لَمْ يَأْتِ إِلَيْهِمْ، وَلَا وَقَفُوا لَهُ عَلَى كِتَابٍ بِلِسَانِهِمْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ دَاعٍ مِنْ قِبَلِهِ.

هَـذِهِ أَلْفَاظُهُمْ بِأَعْيَانِهَا فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ، وَهَـذَا الفَصْلُ لَمْ يَتَعَرَّضُوا فِيهِ لَا لِتَصْدِيقِهِ وَلَا لِتَكْذِيبِهِ، بَلْ زَعَمُوا أَنَّ فِي نَفْسِ هَذَا الكِتَابِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ، بَلْ إِلَى جَاهِلِيَّةِ العَرَبِ، وَإِنَّ العَقْلَ أَيْضًا يَمْنَعُ أَنْ يُرْسَلَ إِلَيْهِمْ.

رد المؤلف على مزاعم النصارى

فَنَحْـنُ نَبْدَأُ بِالجَـوَابِ عَنْ هَذَا، وَنُبَيِّنُ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ مُرْسَـلٌ إِلَيْهِمْ، وَإِلَى جَمِيعِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ قَطُّ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ، وَلَا فِي كِتَابِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَنَّ مَـا احْتَجُّـوا بِـهِ مِنَ الآيَاتِ الَّتِـي غَلِطُوا فِي مَعْرِفَـةِ مَعْنَاهَا، فَتَرَكُـوا النُّصُوصَ الكَثِـيرَةَ الصَّرِيحَـةَ فِي كِتَابِـهِ، الَّتِـي تُبَيِّنُ أَنَّهُ مُرْسَـلٌ إِلَيْهِمْ، مِـنْ جِنْسِ مَا فَعَلُـوهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ وَالزَّبُـورِ وَكَلَامِ الأَنْبِيَاءِ، حَيْـثُ تَرَكُوا النُّصُوصَ الكَثِيرَةَ الصَّرِيحَةَ، وَتَمَسَّكُوا بِقَلِيلٍ مِنَ المُتَشَابِهِ الَّذِي لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُ.

وَمَعْلُـومٌ أَنَّ الـكَلَامَ فِي صِدْقِ مُدَّعِي الرِّسَـالَةِ وَكَذِبِهِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الـكَلَامِ فِي عُمُومِ رِسَـالَتِهِ وَخُصُوصِهَـا، وَإِنْ كَانَ قَـدْ يُعْلَـمُ أَحَدُهُمَا قَبْلَ الآخَـرِ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ القَـوْمَ ادَّعَوْا خُصُـوصَ رِسَـالَتِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّ القُـرْآنَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِـكَ. فَنُجِيبُ عَمَّا ذَكَرُوهُ عَلَى حَسَـبِ تَرْتِيبِهِمْ فَصْلًا فَصْلًا فَنَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ:

الكَلَامُ فِيمَنْ خَاطَبَ الخَلْقَ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَغَيْرُهُ مِمَّـنْ قَالَ إِنَّـهُ رَسُـولُ اللهِ، كَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَـى، وَنَحْـوِهِمَا مِنَ الرُّسُـلِ الصَّادِقِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَـلَامُهُ عَلَيْهِـمْ أَجْمَعِـينَ، وَآلِ كُلٍّ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَكَمُسَـيْلِمَةَ الكَذَّابِ[1] وَالأَسْـوَدِ العَنْسِيِّ[2]، وَنَحْـوِهِمَا مِنَ المُتَنَبِّئِينَ الكَذَّابِينَ، يَنْبَنِي عَلَى أَصْلَيْنِ:

---

(١) مسيلمة بن ثمامة الحنفي ـ أبو ثمامة، مُدَّعي النبوة كذاب، ولد باليمامة، عُرف برحمان اليمامة، ارتدّ قبل وفاة النبي ﷺ، وقُتل على يد خالد بن الوليد في زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ١٢ هـ.

(٢) وهذا كذاب آخر ادّعى النبوة وهو: عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، من أهل اليمن، كان جبارًا ثم أسـلم لما أسـلمت اليمن وارتـدّ في زمن النبي ﷺ ثم ادّعى النبـوة، وقتله فيروز الديلمي قبل وفاة النبي ﷺ بشهر واحد.

أَحَدُهُمَا ـ أَنْ نَعْرِفَ مَا يَقُولُهُ فِي خَبَرِهِ وَأَمْرِهِ فَنَعْرِفَ مَا يُخْبِرُ بِهِ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَهَلْ قَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَّا إِلَى طَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ لَا إِلَى غَيْرِهَا؟

وَالثَّانِي ـ أَنْ يُعْرَفَ هَلْ هُوَ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ؟

وَبِهَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ يَتِمُّ الإِيْمَانُ الْمُفَصَّلُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ صِدْقِ الرَّسُولِ وَمَعْرِفَةُ مَا جَاءَ بِهِ.

وَأَمَّا الإِيْمَانُ الْمُجْمَلُ، فَيَحْصُلُ بِالأَوَّلِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ، كَإِيْمَانِنَا بِالرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَقَدْ نَعْلَمُ صِدْقَهُ أَوْ كَذِبَهُ

وَهَؤُلَاءِ بَدَءُوا فِي كِتَابِهِمْ هَذَا بِمَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ، مِمَّا زَعَمُوا أَنَّهُ حُجَّةٌ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ، وَعَلَى مَدْحِ دِينِهِمُ الَّذِي هُمُ اليَوْمَ عَلَيْهِ بَعْدَ النَّسْخِ، وَالتَّبْدِيلِ، ثُمَّ ذَكَرُوا حُجَجًا مُسْتَقِلَّةً عَلَى صِحَّةِ دِينِهِمْ ثُمَّ ذَكَرُوا مَا يَقْدَحُ فِيهِ وَفِي دِينِهِ؛ فَلِهَذَا قَدَّمْنَا الجَوَابَ عَمَّا احْتَجُّوا بِهِ مِنَ القُرْآنِ، كَمَا قَدَّمُوهُ فِي كِتَابِهِمْ.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

وَدَلَائِلُ صِدْقِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ، وَكَذِبِ المُتَنَبِّي الكَذَّابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَإِنَّ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَكَانَ صَادِقًا، فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ خَلْقِ اللهِ وَأَكْمَلِهِمْ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ؛ فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ أَفْضَلُ مِنْ رُسُلِ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البَقَرَة:٢٥٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإِسْرَاء:٥٥].

وَإِنْ كَانَ المُدَّعِي لِلنُّبُوَّةِ كَاذِبًا فَهُوَ مِنْ أَكْفَرِ خَلْقِ اللهِ، وَشَرِّهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأَنْعَام:٩٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزُّمَر:٣٢-٣٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر:٦٠].

فَالكَذِبُ أَصْلٌ لِلشَّرِّ، وَأَعْظَمُهُ الكَذِبُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالصِّدْقُ أَصْلٌ لِلْخَيْرِ، وَأَعْظَمُهُ الصِّدْقُ عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ

يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[(١)].

وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَهَذَا مِنْ أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ، كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الفُرُوقِ، وَالدَّلَائِلِ، وَالبَرَاهِينِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ أَحَدِهَا وَكَذِبِ الآخَرِ مَا يَظْهَرُ لِكُلِّ مَنْ عَرَفَ حَالَهُمَا. وَهَذَا كَانَتْ دَلَائِلُ الأَنْبِيَاءِ وَأَعْلَامُهُمُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِمْ كَثِيرَةً مُتَنَوِّعَةً، كَمَا أَنَّ دَلَائِلَ كَذِبِ المُتَنَبِّئِينَ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

❁❁❁

(١) أخرجه الطيالسي [٢٤٧] وابن أبي شيبة (٨/ ٥٩٠ - ٥٩١) وأحمد (١/ ٣٨٤ - ٤٣٢) والبخاري [٦٠٩٤] ومسلم [٢٦٠٧] وأبو داود [٤٩٨٩] والترمذي [١٩٧٢] وابن حبان (٢٧٢، ٢٧٣) والبغوي [٣٥٧٤] وغيرهم.

obeikandl.com

فَصْلٌ

توضيح الدعوى والرد عليها

إِذَا عُرِفَ هَذَا، فَهَؤُلَاءِ القَوْمُ فِي هَذَا المَقَامِ ادَّعَوْا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ، بَلْ إِلَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ العَرَبِ فَهَذِهِ الدَّعْوَى عَلَى وَجْهَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّهُ بِنَفْسِهِ لَمْ يَدَّعِ أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ أُمَّتَهُ ادَّعَوْا لَهُ ذَلِكَ.

وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا: إِنَّهُ ادَّعَى أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ كَاذِبٌ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى، وَكَلَامُهُمْ فِي صَدْرِ هَذَا الكِتَابِ يَقْتَضِي الوَجْهَ الأَوَّلَ.

وَفِي آخِرِهِ قَدْ يُقَالُ: إِنَّهُمْ أَشَارُوا إِلَى الوَجْهِ الثَّانِي، لَكِنَّهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لَمْ يُنْكِرُوا رِسَالَتَهُ إِلَى العَرَبِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا رِسَالَتَهُ إِلَيْهِمْ.

وَأَمَّا رِسَالَتُهُ إِلَى العَرَبِ فَلَمْ يُصَرِّحُوا بِتَصْدِيقِهِ فِيهَا وَلَا بِتَكْذِيبِهِ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ لَفْظِهِمْ يَقْتَضِي الإِقْرَارَ بِرِسَالَتِهِ إِلَى العَرَبِ، بَلْ صَدَّقُوا بِمَا وَافَقَ قَوْلَهُمْ وَكَذَّبُوا بِمَا خَالَفَ قَوْلَهُمْ.

وَنَحْنُ نُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ احْتِجَاجُهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَتَكَلَّمُ عَلَى الوَجْهَيْنِ جَمِيعًا، وَنُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ احْتِجَاجُهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ عَلَى صِحَّةِ دِينِهِمْ، بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَنُبَيِّنُ أَنَّ القُرْآنَ، لَا حُجَّةَ فِيهِ لَهُمْ، وَلَا فِيهِ تَنَاقُضٌ.

وَكَذَلِكَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ، الَّتِي يَحْتَجُّونَ بِهَا هِيَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا حُجَّةٌ لَهُمْ، وَلَوْ لَمْ يُبْعَثْ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَيْفَ وَالكِتَابُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مُوَافِقٌ لِسَائِرِ كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي إِبْطَالِ دِينِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ فِي التَّثْلِيثِ، وَالِاتِّحَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَعَ العَقْلِ الصَّرِيحِ. فَهُمُ احْتَجُّوا فِي كِتَابِهِمْ هَذَا بِالقُرْآنِ، وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ العَقْلِ.

obeikandl.com

وَنَحْنُ نُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَا فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، وَلَا فِي العَقْلِ بَلْ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ مَعَ صَرِيحِ العَقْلِ كُلُّهَا بَرَاهِينُ قَطْعِيَّةٌ عَلَى فَسَادِ دِينِهِمْ، وَلَكِنْ نَذْكُرُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ احْتِجَاجَهُمْ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَصِحُّ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْتَجَّ بِمُجَرَّدِ المَنْقُولِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ يُكَذِّبُهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ.

وَكَذَلِكَ سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِخِلَافِ الِاحْتِجَاجِ بِكَلَامِ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُمْكِنُ مُوَافَقَةُ بَعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ، وَأَمَّا مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَوْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ نَبِيٌّ، فَلَا يُمْكِنُ الِاحْتِجَاجُ بِبَعْضِهِ، دُونَ بَعْضٍ سَوَاءٌ قُدِّرَ صِدْقُهُمْ، أَوْ كَذِبُهُمْ.

فَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، سَوَاءٌ أَقَرُّوا بِنُبُوَّتِهِ إِلَى العَرَبِ، أَوْ غَيْرِهِمْ، أَوْ كَذَّبُوهُ فِي قَوْلِهِ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ، أَوْ سَكَتُوا عَنْ هَذَا وَهَذَا، أَوْ صَدَّقُوهُ فِي البَعْضِ دُونَ البَعْضِ:

إِنَّ احْتِجَاجَكُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا تُخَالِفُونَ فِيهِ المُسْلِمِينَ، مِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، لَا يَصِحُّ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ؛ فَاحْتِجَاجُكُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْكُمْ، أَوْ عَلَى صِحَّةِ دِينِكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ.

مَعَ أَنَّا سَنُبَيِّنُ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ـ أَنَّ الكُتُبَ الإِلَهِيَّةَ كُلَّهَا مَعَ المَعْقُولِ، لَا حُجَّةَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، بَلْ كُلُّهَا حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ.

وَهَذَا بِخِلَافِ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ يَصِحُّ احْتِجَاجُهُمْ عَلَى أَهْلِ الكِتَابِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَهْلُ الكِتَابِ لَا يَصِحُّ احْتِجَاجُهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ المُسْلِمِينَ مُقِرُّونَ بِنُبُوَّةِ مُوسَى، وَعِيسَى وَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَعِنْدَهُمْ يَجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللهُ، وَهَذَا أَصْلُ دِينِ المُسْلِمِينَ، فَمَنْ كَفَرَ بِنَبِيٍّ وَاحِدٍ، أَوْ كِتَابٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ، بَلْ مَنْ سَبَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ

كَافِرٌ مُبَاحُ الدَّمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَالكِتَابُ اسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، يَتَنَاوَلُ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، كَمَا يَتَنَاوَلُ القُرْآنَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾ [الشورى: ١٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَفِي القِرَاءَةِ الأُخْرَى (وَكِتَابِهِ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

obeikandl.com

فَذَكَرَ أَنَّ هَـذَا الكِتَابَ الَّـذِي أَنْزَلَ عَلَيْـهِ هُدًى لِلْمُتَّقِـينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالغَيْبِ، وَيُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ، وَيُؤْتُونَ الـزَّكَاةَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِمَا أُنْـزِلَ إِلَيْهِ، وَمَا أُنْزِلَ مِـنْ قَبْلِهِ، وَبِالآخِـرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، ثُمَّ أَخْـبَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، فَحَـصَرَ الفَلَاحَ فِي هَؤُلَاءِ، فَلَا يَكُونُ مُفْلِحًا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البَقَرَة: ٤].

هُـوَ صِفَـةٌ لِلْمَذْكُورِيـنَ لَيْسَ هَؤُلَاءِ صِنْفًا آخَـرَ، فَإِنَّ عَطْفَ الشَّيْءِ عَـلَى الشَّيْءِ قَدْ يَكُـونُ لِتَغَايُرِ الصِّفَاتِ، وَإِنْ كَانَتِ الذَّاتُ وَاحِدَةً هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ هُنَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ قِيلَ إِنَّ الصِّنْفَ الثَّانِيَ مُؤْمِنُو أَهْلِ الكِتَابِ، وَالأَوَّلَ هُمُ الْمُسْـلِمُونَ، فَهَذَا ضَعِيفٌ، وَأَفْسَـدُ مِنْهُ قَوْلُ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى: إِنَّ الكِتَابَ الْمُرَادُ بِهِ الإِنْجِيلُ، كَمَا سَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شَـاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَالعَطْفُ لِتَغَايُرِ الصِّفَاتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ١-٥].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى.

وَقَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٥]. إِلَى آخِرِ الآيَاتِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البَقَرَة: ٤].

هُـمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُـمْ يُنْفِقُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُمُ الْمُفْلِحُونَ.

وَلَكِنْ فَصَّلَ إِيْمَانَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَجْمَلَهُ؛ لِئَلَّا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ مُجَرَّدَ دَعْوَى الإِيْمَانِ بِالغَيْبِ يَنْفَعُ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ، فَلَوْ قَالَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ: أَنَا أُؤْمِنُ بِالغَيْبِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُؤْمِنُ بِبَعْضِ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ بِبَعْضِ مَا أُنْزِلَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا، حَتَّى يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ، وَلَوْ كَانُوا صِنْفًا آخَرَ لَكَانَ المُفْلِحُونَ قِسْمَيْنِ: قِسْمًا يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ، وَقِسْمًا يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ، وَهَذَا بَاطِلٌ عِنْدَ جَمِيعِ الأُمَمِ المُؤْمِنِينَ وَاليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّ الإِيْمَانَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَإِلَى مَنْ قَبْلَهُ يَتَضَمَّنُ الإِيْمَانَ بِالغَيْبِ، وَالإِيْمَانُ بِالغَيْبِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالإِيْمَانِ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

❁❁❁

obeikandl.com

ما يثبت به الاحتجاج على المسلمين

وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَسْتَجِيزُ أَحَدٌ مِنْهُمْ التَّكْذِيبَ بِشَيْءٍ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مَنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَكِنَّ الِاحْتِجَاجَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثِ مُقَدِّمَاتٍ:

إِحْدَاهَا ـ ثُبُوتُ ذَلِكَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَالثَّانِيَةُ ـ صِحَّةُ التَّرْجَمَةِ إِلَى اللِّسَانِ العَرَبِيِّ، أَوِ اللِّسَانِ الَّذِي يُخَاطَبُ بِهِ كَالرُّومِيِّ، وَالسُّرْيَانِيِّ، فَإِنَّ لِسَانَ مُوسَى، وَدَاوُدَ، وَالمَسِيحِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ عِبْرَانِيَّةً، وَمَنْ قَالَ إِنَّ لِسَانَ المَسِيحِ كَانَ سُرْيَانِيًّا، أَوْ رُومِيًّا فَقَدْ غَلِطَ.

وَالثَّالِثَةُ ـ تَفْسِيرُ ذَلِكَ الكَلَامِ وَمَعْرِفَةُ مَعْنَاهُ.

فَلِهَذَا كَانَ المُسْلِمُونَ لَا يَرُدُّونَ شَيْئًا مِنَ الحُجَجِ بِتَكْذِيبِ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فِي شَيْءٍ قَالَهُ، وَلَكِنْ قَدْ يُكَذِّبُونَ النَّاقِلَ عَنْهُمْ، أَوْ يُفَسِّرُونَ المَنْقُولَ عَنْهُمْ بِمَا أَرَادُوهُ، أَوْ بِمَعْنًى آخَرَ عَلَى وَجْهِ الغَلَطِ.

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ قَدْ يَغْلَطُ فِي تَكْذِيبِ بَعْضِ النَّقْلِ، أَوْ تَأْوِيلِ بَعْضِ المَنْقُولِ عَنْهُمْ، فَهُوَ كَمَا يَغْلَطُ مَنْ يَغْلَطُ مِنْهُمْ، وَمِنْ سَائِرِ أَهْلِ المِلَلِ فِي التَّكْذِيبِ عَلَى وَجْهِ الغَلَطِ بِبَعْضِ مَا يُنْقَلُ عَمَّنْ يُقِرُّ بِنُبُوَّتِهِ، أَوْ فِي تَأْوِيلِ المَنْقُولِ عَنْهُ.

وَهَذَا بِخِلَافِ تَكْذِيبِ نَفْسِ النَّبِيِّ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ صَرِيحٌ، بِخِلَافِ أَهْلِ الكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ مُرَادُهُمْ إِلَّا بِتَكْذِيبِهِمْ بِبَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَمَتَى كَذَّبَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ، بَطُلَ احْتِجَاجُهُ بِسَائِرِ كَلَامِهِ، فَكَانَتْ حُجَّتُهُمُ الَّتِي يَحْتَجُّونَ بِهَا دَاحِضَةً، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ: إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَفِي جَمِيعِ مَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا، وَلَوْ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ اللهِ.

فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي ذَلِكَ امْتَنَعَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى اللهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ، فَإِنَّ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ، وَلَوْ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولًا مِنْ رُسُلِ اللهِ، وَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنَ المُتَنَبِّئِينَ الكَذَّابِينَ.

وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِخَبَرِهِ عَنِ اللهِ، فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُرْسِلْهُ، وَإِذَا قَالَ هُوَ قَوْلًا، وَكَانَ صِدْقًا، كَانَ كَمَا يَقُولُهُ غَيْرُهُ، يُقْبَلُ، لَا لِأَنَّهُ بَلَّغَهُ عَنِ اللهِ وَلَا لِأَنَّهُ رَسُولٌ عَنِ اللهِ، بَلْ كَمَا يُقْبَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَائِرِ الكُفَّارِ مَا يَقُولُونَهُ مِنَ الحَقِّ، فَإِنَّ عُبَّادَ الأَوْثَانِ إِذَا قَالُوا عَنِ اللهِ مَا هُوَ حَقٌّ مِثْلَ إِقْرَارِ مُشْرِكِي العَرَبِ بِأَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَمْ نُكَذِّبْهُمْ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا، وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ الكَافِرُ: إِنَّ اللهَ حَيٌّ قَادِرٌ خَالِقٌ، لَمْ نُكَذِّبْهُ فِي هَذَا القَوْلِ.

فَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ إِنَّ اللهَ أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنَ الكَذَّابِينَ الَّذِينَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِشَيْءٍ مِنْ أَقْوَالِهِمُ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُبَلِّغُونَهَا عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَا قَالُوهُ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُمْ فِيهِ كَسَائِرِ النَّاسِ، بَلْ كَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الكَذَّابِينَ إِنْ عُرِفَ صِحَّةُ ذَلِكَ القَوْلِ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِمْ قُبِلَ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّتِهِ، لَا لِكَوْنِهِمْ قَالُوهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ صِحَّتُهُ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِمْ، لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِمْ لَهُ مَعَ ثُبُوتِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ.

وَحِينَئِذٍ، فَهَؤُلَاءِ إِنْ أَقَرُّوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا بَلَّغَهُ عَنِ اللهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، وَجَبَ عَلَيْهِمُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا ثَبَتَ عَنْهُ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ، كَمَا يَجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

وَإِنْ كَذَّبُوهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ شَكُّوا فِي صِدْقِهِ فِيهَا، امْتَنَعَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُقِرُّوا بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَإِذَا لَمْ يُقِرُّوا بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، كَانَ احْتِجَاجُهُمْ بِمَا قَالَهُ كَاحْتِجَاجِهِمْ بِسَائِرِ مَا يَقُولُهُ مَنْ لَيْسَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، بَلْ مِنَ الكَذَّابِينَ، أَوْ مِنَ المَشْكُوكِ فِي صِدْقِهِمْ.

obeikandl.com

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ عُرِفَ كَذِبُهُ عَلَى اللهِ فِيمَا يَقُولُ: إِنَّهُ يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ أَوْ شُكَّ فِي صِدْقِهِ، لَا يُعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَلَا أَنَّهُ صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ، وَيُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ، وَإِذَا لَمْ يُعْلَمْ ذَلِكَ مِنْهُ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا، بَلْ إِذَا عُرِفَ كَذِبُهُ عُرِفَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُنْزِلْ إِلَيْهِ شَيْئًا وَلَا أَرْسَلَهُ، كَمَا عُرِفَ كَذِبُ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ، وَالأَسْوَدِ العَنْسِيِّ، وَطُلَيْحَةَ الأَسَدِيِّ[1]، وَكَمَا عُرِفَ كَذِبُ مَانِي[2]، وَأَمْثَالِهِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ الكَذَّابِينَ.

وَإِذَا شُكَّ فِي صِدْقِهِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ جُوِّزَ أَنْ يَكُونَ كَذَبَهَا عَمْدًا، أَوْ خَطَأً لَمْ يَجُزْ تَصْدِيقُهُ مَعَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ؛ لِأَنَّ تَصْدِيقَهُ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللهِ، إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ رَسُولًا صَادِقًا لَا يَكْذِبُ عَمْدًا وَلَا خَطَأً، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ، لَا يَكْذِبُ فِيهِ عَمْدًا وَلَا خَطَأً.

❁❁❁

(١) طليحة بن خويلد الأسدي من أسد خديجة، قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة ٩ هـ، ولما رجعوا ارتد طليحة، وادّعى النبوة في عهد رسول الله ﷺ وكثر أتباعه بعد وفاة النبي ﷺ ثم سار إليه خالد، وانهزم طليحة وفرّ إلى الشام، ثم أسلم وخرج إلى العراق في عهد عمر وجاهد وحسن بلاؤه واستشهد بنهاوند سنة ٢١هـ. لكن مثله سقط عنه اسم صحابي.

(٢) ماني بن فاتك الحكيم، ثنوي تنسب إليه المانوية، زعم أن للعالم صانعين أحدهما للخير والآخر للشر والظلمة، وتبعه على هذا الهوس خلق كثير من المجوس، وادعو له النبوة، ثم قُتل زمان سابور بن بهرام.